الفصل الثاني

بعض الإرشادات الهامة
لتحسين
القدرات البحتية والمعرفية

الفصل الثاني

بعض الإرشادات الهامة لتحسين القدرات البحثية والمعرفية

مقدمة:

إن عمليات التفكر والتدبر والتحليل والتقييم الموضوعي عادة ما تصاحب أي إنسان رشيد منذ نعومة أظفاره حتى انتهاء عمره على أرض الدنيا وذلك يحدث عادة ويتنامى ويتطور في ظل مدرسة الحياة والتعامل مع الأحداث، ومع الناس، ومع كافة الأمور القدرية المكتوبة على كل مخلوق في الأرض. غير أن تلك العمليات الفكرية وغيرها يمكن أن تتحقق في أعلى مستوياتها المعرفية الرشيدة إن تم تطويرها ودعمها وتوجيهها بالوسائل العلمية المتخصصة، وتكون حقيقة في أحسن حالاتها وأرقى طباعها عندما يتم تنقيحها وضبطها بالتوجيهات وبالتعاليم الإسلامية إلهية المصدر.

وعادة، فإن هناك اعتقاداً سائداً بأن الاكتفاء بالمصادر الدينية أو التشريعية المباشرة هو شرط ضروري وكاف للتوصل إلى أفضل الأعمال الفكرية البحثية وأكثرها إتقاناً خاصة بعد تطبيق المناهج والنظريات والقوانين المتخصصة ذات

الصلة والارتباط. والحقيقة، أن الحال كذلك، لكن المهم هو أن يفطن الباحث أو المفكر إلى التوجيهات والتنويهات الموجودة في تلك المصادر النموذجية التي يمكن أن تساعد في إحداث فريد من الارتقاء والتميز للعمل الفكري برغم عدم الإعلان صراحة أو بشكل مباشر عن جدوى دورها في هذا الصدد.

من هذين المنطلقين تم إرساء دعائم الفصل الحالي بجزأيه الأساسيين كما سيتبين كلٌ في حينه.

1-2 ضوابط وشروط هامة لزيادة كفاءة وتفعيل العمليات المعرفية والبحثية:

كلما احتكم سلوك المرء وتوجيهاته وأفكاره إلى تعليمات نموذجية مرشدة، كلما زادت احتمالات قبوله واحترامه من قبل مجتمع العقلاء والحكماء؛ ما بال إن كانت تلك التعليمات مستنبطة من باقة التوجيهات الإلهية التي تناثرت بأنوارها المتلألئة داخل طيات المصادر التشريعية والتربوية الدينية الثابتة في القرآن والسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين ؟!!

تعالوا، نتعرف معاً أيها القراء الأعزاء، على بعض النصائح الإرشادية ذات التأصيل الإسلامي الحنيف والتي تفيد في الارتقاء بأي فكر أو علم معرفي بشرى النسيج والصياغة والتطبيق.

1- أن يكون هناك يقينٌ بان أصل العلم الصحيح كله من علم الله سبحانه الذي علم آدم الأسماء والمصطلحات وغيرها من الأسس، ومن ثم فعلى الباحث الاستعانة بما حباه الله من علم فطرى يتمثل في مواهب وقدرات تحليلية وفكرية متميزة ومعارف كامنة تتطلب إظهارها والكشف عنها باستخدام الأدوات البحثية الأخرى وبالاستعانة بالمصادر المعرفية الأخرى التي سيتم عرضها في الجزء الثاني. ولابد من التذكر الدائم للآية ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78] كدرس هام يحمى الباحث والعالم المتميز من الوقوع

في بوتقة الغرور المدمر التي وقع فيها من قبل شخص ادعى أنه صاحب العمل الذي تميز به ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: 81].

2- بناء على المسلمة السابقة، فإنه على عكس الاتجاه السائد في العلم التقليدي من ضرورة فصل العلم عن الدين واعتبار الأصول الدينية مجرد مصادر تعبدية بحته، فلابد للدارس في أي علم أو بحث إسلامي من ربط الدين بالعلم، ولابد أن تكون عملية بحثه بكاملها قائمة على مصادر تشريعية دينية بالدرجة الأساسية، ولابد من مطابقة كل ما يعرض من نتائج ومعلومات مع الأحكام التشريعية والأوامر الإلهية في ذات مجال الدراسة والبحث.

3- وذلك لا يمنع من أهمية الاستعانة بدراسات العلوم الوضعية المتخصصة والمرتبطة بموضوع البحث والدراسة حتى إن كان واضعوها غير مسلمين، حيث أن الله قد أعطى علمه للجميع كرزق شامل لكل البشر ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: 4-5]. العبرة أن يكون الجزء المستعان به مطابقاً بالفعل لما ورد من أحكام تشريعية أو أن تتم مطابقته تشريعياً. ومن بين الأمثلة على ذلك المصطلحات العلمية التخصصية المستحدثة: التأجير التمويلي والمشتقات المالية والاستنساخ وزرع الأعضاء والزراعات المستهجنة ... الخ، وبرغم حداثة ظهورها في مجال الفكر التقليدي البشرى، فيجب عدم رفضها على إطلاقها لمجرد أنها نبتت على أرض اصطلاحية أو بحثية غير إسلامية، لكن المفروض أن تنقح في الميزان الإسلامي التشريعي الصحيح وتتم بلورتها إلى الشكل المقبول شرعاً.

4- أن يكون البحث العلمي حيادياً وغير متحيز لهوى أو لمأرب شخصي لأن ذلك يؤثر على صحة ما يعرض من نتائج وتوصيات ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 119].

5- استخدام اللغة العربية كأساس للبحث والعرض مع الاستزادة من التعلم باللغات الأخرى لإثراء المعارف والخبرات فقد توصل عالم مصري كان يدرس في بريطانيا مؤخراً إلى أن العالم يضم لغات كونية عديدة وبالغة التنوع تستخدمها جميع مخلوقات الله إلا أن أصل كل هذه اللغات هي اللغة العربية وذلك ما دفع جامعة الملك بن عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية إلى فتح قسم جديد لتدارس كل ما يتعلق بتلك اللغات الكونية التي يستخدمها البشر وغير البشر. أما عند الاستعانة بالنصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية، فلابد أن تعرض بلغتها العربية الأصلية تجنباً للوقوع في خطأ التقول على الله سبحانه وعلى الرسول ﷺ.

6- قَسَّم العلماء المعرفة الإنسانية إلى قسمين رئيسيين: ضرورية ومكتسبة، كما قسموا العلم الضروري إلى قسمين: بديهي فطرى، وحسي، واعتبر العلماء أن العلم الضروري يورث المعرفة اليقينية أما العلم المكتسب (الذي يطلق عليه أحياناً العلم النظري)، فقيل عنه أنه لا يفيد إلا الظن أي أنه يمكن أن تشوبه التشككات التي تتطلب التحقق من صحتها بصفة مستمرة[1].

ومما سبق فإن الباحث في المجالات العلمية إسلامية التأصيل أو التناول لابد من أن يبدأ أولاً بالتعرف على كل المسلمات المعرفية اليقينية المرتبطة بمجال تخصصه واهتمامه البحثي وذلك باستنباطها من الأصول التشريعية الصحيحة واليقينية بدءاً بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة؛ أما ما حباه الله به من علم بديهي (فطرى) «هو الذي يتمثل في معرفة يكتسبها الإنسان تلقائياً بدون بذل جهد إضافي أو مقصود من قبله»، فعلى الباحث أن يدعم ذلك العلم الفطري اليقيني بالأدلة الشرعية المناسبة حتى يمكنه إقناع المتلقي لما يقدمه من معرفة بشكل منطقي عقلاني. ومن

(1) صبرى الأشوح، 1420هـ / 2000م، ص 15.

الأمثلة على المعلومات الفطرية: «استحالة المحالات» بمعنى أن شيئاً واحداً على سبيل المثال يستحيل أن يكون قديماً ومحدثاً في ذات الوقت أي يستحيل إحالة القديم إلى الوقت الراهن واعتباره حديثاً والعكس بالعكس صحيح[1]. فعلى الرغم من يقينية تلك المعلومة، فلابد من التحقق من صحتها بالأدوات التحليلية الملائمة بالتجربة والخطأ أو داخل المعمل البحثي أو من خلال دراسات ميدانية ... الخ حتى يمكن الإقناع المنطقي لمن لم يتبصروا إلى تلك البديهية النظرية.

وقياساً على ذلك، فإن كنا نعتبر الفكر أو العلم إسلامي التوجه أو التأصيل مجالاً ضرورياً يجب إتباعه على أساس تكونه من شقين ثابت (إلهي المصدر) ومتغير (اجتهادي من قبل البشر)، فيجب على الباحث المتخصص في ذلك المجال والموقن بأهميته الحتمية، أن يقدم من الأدلة والبراهين المنطقية ما يقنع المخالفين بما يراه وذلك يكون **بشكل مباشر** من خلال تقديم أدلة ترجيحية للعلم المذكور (مثل أنه يراعى مصالح كل من الفرد والمجتمع معاً وليس متطرف الأيديولوجية والفكر، وأنه قابل للتطبيق في كل زمان ومكان بل إن أي زمان أو مكان لا ينصلح حاله إلا بتطبيق ذلك العلم لأنه يقوم على العلم الإلهي الذي لا يماثله شيء) وقد يحدث ذلك **بشكل غير مباشر**، وذلك من خلال تقديم بحوث علمية تطبيقية عملية فاعلة تتلاءم ولغة العصر وظروفه المستحدثة وما يقابله من تحديات فعلية (وذلك كما حدث مؤخراً في فترة اندلاع الأزمات الاقتصادية العالمية منذ عام 2006م، حيث بدأت الأصوات الغربية تنادى بضرورة الاستعانة بدراسات الاقتصاد الإسلامي وبالقرآن آملة في العثور على حلول إيجابية تنقذ الدول الكبرى من الهلاك الاقتصادي المستشري بين جنباتها ومثلما حدث مع علماء اعتنقوا الإسلام نتيجة لاكتشاف تطابق نتائجهم العلمية مع آيات قرآنية كالحال في الآيات المرتبطة بتطور مراحل خلق الإنسان منذ كان نطفة من «منيٍ يمنى»).

---

(1) المرجع السابق، ص 16، 170.

7- وإذا كان القرآن يمثل مصدراً جوهرياً للمسلمات الفكرية والعلمية والمعرفية بشكلها العام، فيستحب للباحث في مجال العلوم إسلامية التأصيل ليس فقط أن يحفظ آيات القرآن لتكوين حصيلة معرفية نظرية أساسية، لكن أيضاً أن يتدبر معانيه وأن يتدارس كتب التفاسير المختلفة حوله حيث إن ذلك يساعد على تنمية العلم الفطري الصحيح لديه، بل إن الباحث الماهر يجب أن يحب القرآن بكل وجدانه حتى يظل في فكره وعقله دائماً، ويساعد على ذلك قيامه بتدارس القراءات القرآنية المختلفة له والتدبر في الإعجاز الكامن في تلك القراءات[1].

8- وكما أوضحنا سابقاً، فإن أئمة الفقهاء القدامى الذين يمثلون مصدراً معرفياً بشرياً هاماً للبحث وللاستدلال في القضايا والأمور مختلفة التخصصات، ولدعم عمليات القياس الاجتهادية المستحدثة، لوحظ أنهم يتمتعون بأنماط فكرية مختلفة تتيح للباحث مرونة كافية للتنقل وللتدبر البحثي بين الأحكام التشريعية المرتبطة بقضيته البحثية. ومن ثم، فعلى الباحث ضرورة الاستعانة بآراء هؤلاء الفقهاء جميعهم أو بعدد كبير منهم مع تبرير اختيار من سيقوم بالاستعانة بهم، ثم الانتهاء بنتائج يسردها الباحث بحيث يحاول تجميع النتائج المشتقة من تلك الآراء والتوفيق فيما بينها لأنها أحياناً ما تبدو مختلفة أو متناقضة بشكل يتيح فرصة الهجوم الانتقادي من قبل أعداء الإسلام أو ضعاف العلم والإدراك.

ومن ثم، فإن تقبل الاستعانة بالأفكار المتخصصة التي تتضمنها كتابات الفقهاء القدامى، يتطلب البدء أولاً بتدارس شخصياتهم واتجاهاتهم الفكرية وسيرتهم الذاتية فذلك يساعد كثيراً على تفهم ما يقدمه كل من آراء وفتاوى[2].

---

(1) انظر على سبيل المثال: صبري الأشوح، 1419هـ / 1998م.

(2) انظر على سبيل المثال صبري الأشوح: «حول التفكير عند أئمة الفكر الإسلامي»، 1417هـ/ 1997م، مرجع سابق ذكره، و «مذهب جمهور الفقهاء»، 1426هـ/ 2005م

2-2 بعض المصادر والوسائل والأدوات المستخدمة في اكتساب خبرات متميزة

عندما يسأل باحث متخصص أو حتى عامل محنك في تخصص علمي دقيق، ما هي أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها في الحصول على البيانات والمعلومات المطلوبة وما هي أهم الوسائل التي تمت الاستعانة بها من أجل تحقيق ذلك، تكون الإجابة المعتادة أو المتوقعة مرتبطة في الغالب الأعم بالمصادر التقليدية الشائع الحديث بشأنها مثل المصادر الإحصائية أو المختبرات المعملية والدراسات الميدانية لمصادر البيانات والمعارف، ومثل المناهج التحليلية الوصفية والتاريخية والقياسية، وتكوين المعادلات والدوال بأشكالها المختلفة .....

ونادراً ما هم، من يفطنون إلى وجود مصادر ووسائل معرفية غير تقليدية وغير منظورة وتخرج عن نطاق العقل البشرى التقليدي .. تلك التي ورد بشأن بعضها بعد الإشارات القرآنية أو تلك التي وردت بالأحاديث النبوية، والتي دلت تجارب الآخرين عن هويتها ومكامنها. وقد تكون بعضها مما يستهين بشأنها الإنسان المغرور ببشريته برغم ما يكتنفها من العديد والعديد من علامات الضعف والقصور.

وبناءً عليه، فإن مصادر البحث المعرفي ووسائله خاصة في المجالات المرتبطة بالنواحي الدينية أو القائمة على الركائز الدينية يمكن أن تصنف إلى قسمين رئيسيين المصادر غير التقليدية (وهى الأقرب إلى توليد وإظهار العلم الفطري اليقيني)؛ ومصادر تقليدية (وهى المصادر المعرفية المعتادة في المجالات المعرفية التقليدية).

أولاً : المصادر والوسائل المعرفية غير التقليدية :

الإلهام، المخلوقات غير البشرية، الظواهر الطبيعية، وخلق الإنسان.

(أ) **الإلهام الإلهي حتى لغير المؤمنين وللكائنات غير البشرية:**

فالعلم يمكن أن يصل إلى من شاء الله من العباد بوحي أو بإلهام مباشر أو غير

مباشر، مع اختلاف أحوالهم وعقائدهم ومذاهبهم وذلك كأحد أنواع العطاء الإلهي اللا محدود بدليل قوله تعالى ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: 20].

كما أن الإلهام أو التوجيه الإلهي بالعلم حتى لغير المسلمين ولغير المؤمنين، يمكن أن يحدث كجزء من الرزق المعيشي المطلق الذي وعد الله الرزاق بأن يتيحه لكل دابة بدون تقييد أو تحديد لأصناف معينة منه بخلاف ما يعتقده العامة خطأ بأن الرزق يتمثل في ماديات العيش فقط من أموال ومأكولات وما شابهها، وذلك كما وعد به الرزاق الكريم في قوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: 6].

ومن الأسباب المنطقية التي يمكن أن تفسر (عمومية) العطاء العلمي الصحيح للمسلمين ولغيرهم أن ذلك يمكن أن يكون سبباً في هداية المتلقي أو أن يصبح ذلك حجة عليه وقت الحساب الأخروي إذا أصر على كفره وإنكاره لتعاليم الدين الإلهي وعصيانه لتوجيهاته، وجحوده لفضل الله عليه - ومما نستدل به - ولو بشكل غير مباشر - على ما نقول، ما قاله سليمان عليه السلام بعد علمه بقصة ملكة بلقيس ونجاحه في هدايتها للإسلام ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: 40].

كما يمكن استنباط سبب آخر للإمداد الإلهي لغير المسلم أو غير المؤمن بجزء من العلم اليقيني، وهو تسخير المتمتع بذلك العلم الصحيح لتقديم منافع عملية وحياتية لغيره ومنهم المسلمين والمؤمنين أنفسهم، وتحقيقاً لهدف التواصل البشرى القائم على التدافع والابتلاءات والمناخات التنافسية الدافعة لعمليات الإعمار الكوني، ودليلنا في ذلك قوله تعالى ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾ [الزخرف: 32].

كما يمكن أن يكون في ذلك تحفيزاً للمسلمين وللمؤمنين لدعم قوتهم المعرفية والارتفاع بمستواها حتى لا يكونوا في وضع أدنى من غيرهم وتابع لهم، وذلك استرشاداً بقول الحكيم ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: 251]، وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: 40].

ولماذا يستبعد كثيرون فكرة أن يرزق الله سبحانه غير المسلم أو غير المؤمن جزءاً من علمه اليقيني مع أن الله سبحانه منح ما هو أكثر من ذلك من صلاحيات لإبليس الرجيم؟! وتلك قصة أخرى تتطلب تأمل كل فطن.

والواقع أن تأكيدنا على فكرة حصول غير المسلم على جزء من العلم اليقيني لا ترجع إلى مديحه، ولكنها تدلل على خطأ المقاطعة المطلقة لكل ما يرتبط بغير المسلمين حتى إن كان ذلك فكر أو علم يمكن الانتفاع به، لكن في تلك الحالة ينصح أن لا يؤخذ ما يستعان به من ذلك المصدر المعرفي غير الإسلامي على أنه مسلمات أو بديهيات، بل لابد أن يتم تقييمه وتنقيحه بالأحكام الشرعية وبالتوجيهات الإلهية الثابتة، ثم يقبل منه ما يتطابق مع علم الوحي، وينقح منه المخالف - إن أمكن ذلك - أو يرفض ما هو خلاف ذلك تماماً مثل قوله ماركس بأن (الدين أفيون الشعوب) واعتباره من العوامل المفسرة للتطور التاريخي والاقتصادي.

(ب) المخلوقات والكائنات غير البشرية:

فبتتبع آيات القرآن الكريم وبالتأمل في ما يحدث من اكتشافات علمية عبقرية، يمكن أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل من بعض مخلوقاته غير البشرية

وسائل لنقل علم الوحي اليقيني الذي يفيد الإنسان في تحقيق إعمار الكون وتطوير المناخ المعيشي والأنشطة البشرية القائمة من خلاله وصدق الله تعالى حين أرشدنا إلى عدم الاستهانة بالمخلوقات الأخرى وإلى ضرورة الاستفادة منها بقدر الإمكان وهو ما نستدل عليه من قوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: 38]. ولدينا في ذلك المقام العديد من الأدلة القرآنية المسلم بها ومن ذلك نستدل بمثال تعريفي للتوازن المعيشي المطلوب تضمنته قصة نوح عليه السلام، ثم بأمثلة أكثر تحديداً وتخصصاً منها النحل، كنموذج تعليمي تطبيقي للنشاط الإنتاجي الفعال، وغراب قابيل كرائد تعليمي تطبيقي لإستراتيجية حماية البيئة من التلوث، وهدهد سليمان كباحث ميداني ومصدر لمعلومات يقينية، وطيور إبراهيم كوسيلة تعليمية تطبيقية تقوم على استخدام أسلوب (التجربة العملية) للوصول على معلومة يقينية أو للتحقق من صحة ما قد نسميه في عالمنا العلمي المعاصر بالفرضية، وكذلك كان حمار العزيز الشهير. ولنبدأ بعرض تلك النماذج التعليمية غير البشرية.

(1) النموذج التعليمي الإرشادي المستنبط من قصة نوح عليه السلام، التوازن المعيشي المطلوب يقوم على (اختلاف) الطبائع أو على المتضادات:

ورد في إحدى الدراسات المعاصرة حول التربية البيئية[1] أن محاولة أو عملية الإخلال بمنظومة هيكل المخلوقات التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يوجدها على الأرض الدنيا لابد أن يؤدى إلى الإخلال بالهيكل المعيشي على الأرض مما سيضر بالإنسان، حتى إن تم ذلك بهدف التخلص من مخلوقات (تبدو) ضارة له. وقد عرض في ذلك الصدد مثال صيني مزدوج، يتمثل أحد شقيه في شن عملية إبادة قومية شاملة ناجحة للذباب، ساهم فيها كل طوائف الشعب، لكن بعد تحقق ذلك

(1) أحمد عبدالوهاب، 1995، ص 571-572.

الهدف المحوري (التخلص من الذباب)، اكتشف الخبراء أن الذبابة خاصة المنزلية تعتبر من أهم المنظفات لقيامها بمهمة تنظيف البيئة بتحليل القمامة وروث المواشي ونفايات الإنسان والحيوانات النافقة. وفى تجربة مقابلة، قامت الصين بعملية إبادة جماعية للعصافير لأنها تتغذى على 10٪ من المحاصيل المزروعة في الحقول. وبرغم نجاح تحقيق الهدف الأصلي، فقد اكتشفت الصين أن 56٪ من الغذاء الذي كانت تتناوله العصافير (المضطهدة) كان يتمثل في الواقع في الحشرات الضارة بتلك المحاصيل وبالبيئة المحيطة بها.

وقد أشرنا في كتاب سابق لنا[1]، إلى أن الشق الثاني من التجربة يمكن أن يشير إلى أن العصافير تعتبر (عاملاً مهنياً) كان يقوم بعملية التنظيف البيئي للمحاصيل وبحراسة تلك المحاصيل من الغزو المدمر لها من قبل المخلوقات الضارة المعتدية، وكانت تحصل على أجر عادل لما تقوم به من نشاط اقتصادي يتمثل في 10٪ مما تدره الأرض الزراعية من تلك المحاصيل!

ولو أن الخبراء الصينيين (الذين قرروا تطبيق التجربتين البيئيتين الفاشلتين والذين تسببوا في تكبد تكاليف مادية واجتماعية لا مبرر لها)، رجعوا إلى قصة سفينة نوح وتدبروا في متضمناتها، لكان الوضع قد تغير نتيجة لتصحيح معلومة خاطئة بدأوا بها وأقاموا حملاتهم التجريبية بناءً عليها.

ففي قصة نوح عليه السلام، نجد أنه اصطحب في سفينة الإنقاذ التي أعدها للوقاية من الطوفان المرتقب، زوجين اثنين من جميع المخلوقات حتى من الوحوش المفترسة[2]. فإن كانت تلك الوحوش المفترسة مخلوقات ضارة وغير مطلوبة، ما أراد الله تعالى لها أن تستمر في دائرة البقاء المعيشي، ولتم التخلص منها مع الكفار

---

(1) زينب صالح الأشوح، 2003، ص 37

(2) زينب صالح الأشوح، 1425هـ/ 2004م، ص 162

في الطوفان المنذر، بل ما خلقها الله سبحانه وتعالى، وجعل لها مكاناً معيشياً على أرض الدنيا. ولكن السماح لها بالدخول جنباً إلى جنب داخل سفينة نوح مع المخلوقات الأليفة الأخرى يؤكد على **أن التوازن البيئي والمعيشي على أرض الدنيا يقوم في الأساس على المتناقضات أو المتضادات**، وهى فرضية نترك مهمة الإثبات والتدليل على صحتها للمتخصصين في العلوم الطبيعية والأحياء والجيولوجيا.

(2) النحل كنموذج تعليمي تطبيقي للنشاط الإنتاجي الفعال:

ويمكن استنباط نموذج تعليمي هام لعملية إنتاجية متكاملة من خلال ما ورد في الآية الكريمة حول السلوك الإنتاجي للنحل، وفقاً لما أوحى به إليه من رب العالمين. وفى ذلك يقول تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: 68-69].

وبالامتثال للأمر الإلهي بدأنا في التفكير في تلك الآية الإعجاز الكريمة ونجم عن ذلك التفكر المنطقي المتعمق استنباط نموذج إرشادي لكيفية تطبيق وتفعيل أية عملية إنتاجية حيث يجب أن يراعى إتباع التوجيهات الآتية:

1- أية عملية إنتاجية يجب أن يسبق إقامتها البحث والتنقيب عن مصادر الخامات والموارد اللازم استخدامها لإتمام هذه العملية الإنتاجية مع تحديد مكان الإنجاز الإنتاجي المستهدف. وقد استلهمت تلك الخطوة من الجزء الأول من الآية الكريمة ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾..... ﴾ [النحل: 68-69].

2- واسترشاداً بنفس الجزء من الآية السابق الإشارة إليه تواً، يجب عدم الاكتفاء – في عمليات استكشاف الموارد الطبيعية – بمكان ذي طبيعة واحدة أو بأماكن

متعددة تجمعها طبيعة واحدة متماثلة، بل الأفضل التوجه إلى العديد من الأماكن متنوعة التواجد والخصائص لأن ذلك يتيح الفرصة الأفضل، ليس فقط لزيادة احتمالات النجاح في الحصول على الموارد الطبيعية المستهدفة، ولكن أيضاً للحصول على تلك الموارد لكن بخصائص ذاتية يمكن أن تختلف ضمناً فيما بينها مما يساعد على اكتساب موارد طبيعية متنوعة الخصائص ومتعددة المنافع والاستخدامات ولكن بطبيعة الحال، يجب أن تحدث عملية البحث هذه في نطاق المقبول منطقياً، فبالرجوع إلى الآية الكريمة فإن العسل يمكن أن ينتج في الجبال أو في مناطق مشجرة وفى كل حالة سنحصل على إنتاج مختلف الخصائص والمنافع بشكل نسبى، لكن لا نتوقع أن نجد عسل نحل في أعماق البحار لأن الطبيعة السائلة للعسل لا يعقل أن تتواجد بشكل منفصل ومتميز في ذلك المكان الأخير.

3- كما يستهلم من نفس الآية السابقة قاعدة إنتاجية إرشادية ثالثة وهى مراعاة الإقامة المستمرة للقائمين على العملية الاستكشافية أو الإنتاجية في ذات أماكن تجمع مصادر الموارد والخامات المنشودة مع تفضيل أن يتجاور ذلك وذاك (مكان إقامة العاملين وأماكن تواجد الخامات) مع أماكن تصنيع المنتج المستهدف – في كل أو على الأقل – في غالبية المراحل الأولى الأساسية للاستكشافية أو للإنتاج ذي الصلة وبكلمات أخرى، يفضل إقامة مستوطنات أو تجمعات استكشافية، صناعية إنتاجية، وسكانية متكاملة، ويفضل أن يكون مركز هذه المستوطنات في أماكن توافر الخامات.

وبالتفكر في الشق الثاني من الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: 69] يمكن أن نستنبط القواعد الإنتاجية الإرشادية الاستكمالية التالية.

4- يفضل أن تتوافر في التجمع الإنتاجي المقترح كل مقومات المعيشة الملائمة لطبيعة المنتجين والعمال والتي تساعد على تعظيم أدائهم الإنتاجي من طعام وشراب وأدوية معالجة ووقائية ضد الأمراض .... الخ وذلك توفيراً لتكلفة الوقت والمجهود التي يمكن أن تهدر أو ترتفع نتيجة لابتعاد تلك المقومات (أو بعضها) عن مكان الإقامة ومكان الإنتاج والواقع أن التوافر المحلى لمقومات المعيشية ومحسنات الأداء والنشاط الاقتصادي، لابد أن يساعد على زيادة الإنتاج وزيادة القيمة المضافة نتيجة أيضاً لزيادة إمكانية تخصيص وقت أكبر في إنجاز العمل الإنتاجي المستهدف.

5- إتباع مبدأ التنوع في الموارد والخامات المستخدمة، وفى أنماط الوحدات المنتجة بشكلها النهائي والمرتبطة بذات المنتج الأصلي كمسمى، حيث يثمر ذلك عن تعظيم المنافع والاستخدامات الإيجابية لذلك المنتج متعدد الأنماط والأشكال – وبالتالي – متعدد الاستخدامات والمنافع.

ويقودنا ذلك إلى استنتاج علاقة دالية مفترضة توضح وجود ارتباط إيجابي بين تنوع الخامات والموارد المستخدمة في العملية الإنتاجية، وتنوع التوليفات الإنتاجية المطبقة، وتنوع الأساليب الفنية والإنتاجية أو التقنية المتبعة – كمتغيرات مستقلة من ناحية – وبين حجم المنافع التي يمكن الحصول عليها من المنتج النهائي القائم على استخدام تلك العناصر المتنوعة.

كما يفترض – تبعاً لما سبق – وجود علاقة دالية إيجابية بين **تنوع** الخامات والموارد المستخدمة في العملية الإنتاجية، والتوليفات الإنتاجية المطبقة، والأساليب التقنية المتبعة كمتغيرات مستقلة أو تفسيرية من ناحية، وبين **حجم** المبيعات أو حجم الأرباح (كمتغير تابع) من ناحية أخرى.

ومع هذا، يمكن اعتبار طبيعة مجموعة المتغيرات بشكل عكسي، وبكلمات

أخرى، فإنه يمكن اعتبار كل من مجموعتي المتغيرات - بالتبادل - مستقلة أو تابعة. فإذا كان هناك تنوع في الخامات - مثلاً - فإنه ذلك التنوع سيساهم - وفقاً للفرضية الأولى - في خلق منافع وإتاحة استخدامات أكبر لذات المنتج، وسوف يساعد ذلك - بدوره - على زيادة الطلب على ذلك المنتج مما يساعد على زيادة الأرباح المتحصلة من تصريفه. في تلك الحالة يعتبر تنوع الخامات متغيراً مستقلاً بينما يعتبر حجم المبيعات متغيراً تابعاً. لكن على جانب عكسي، يمكن اعتبار حجم المبيعات متغيراً مستقلاً وتنوع الخامات متغيراً تابعاً إذا ما أدى حجم المبيعات (نتيجة لكبر حجمه النهائي) إلى تحفيز المنتج على زيادة إنتاجه وبالتالي زيادة طلبه على الخامات والتنويع في المستعان منها بهدف تغطية الاحتياجات الإنتاجية لمقابلة الأحجام المتزايدة للمبيعات، وهنا يصبح تنويع الخامات متغيراً تابعاً لحجم المبيعات.

كل هذا، يفترض صحة تحققه بشرط بالغ الأهمية وهو شرط **الانتفاع** أو **الفعالية** المتحققة من استخدام الخامات المعنية في العملية الإنتاجية المستهدفة، وكذلك الانتفاع والفعالية التي يتمتع بها المستهلك والمستخدم للمنتج نهائي الصنع.

وصدق الله تعالى في قوله الحكيم ﴿ ...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: 69]

(3) غراب قابيل كرائد تعليمي تدريبي لتطبيق إحدى استراتيجيات حماية البيئة من التلوث:

في الآونة الأخيرة من القرن العشرين، تم استحداث مسميات واستراتيجيات للتنمية بحيث يمكن أن تتلاءم مع تحديات وظروف العصر، وكان من بينها الإستراتيجية المسماة بالتنمية المطردة Sustainable Development حيث تقوم تلك الإستراتيجية المستحدثة على أساس جوهري يتمثل في ضرورة حماية البيئة من التلوث. والواقع

أن ذلك الأساس ليس بالشيء الجديد كما يدعى أو يعتقد كثير من المتخصصين، لكنه قديم قدم البشرية وتواجدها على الأرض الدنيا وبصفة خاصة بعد قتل قابيل لأخيه هابيل وحيرته في كيفية التعامل مع جثة أخيه.

وبالرجوع إلى تلك القصة القديمة، نجد أن أول معلم للبشرية لأحد الأصول الهامة لحماية البيئة من التلوث كان غراباً، وذلك بالتخلص الصحي من جثث الموتى بالدفن تحت الأرض ويتجلى ذلك في الآية الكريمة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة: 30-31].

ويتضح من الآية السابقة أن الله يجند بعض جنوده من الكائنات غير البشرية (التي قد يستهين البشر بها) لتكون وسائل تعليمية أو تدريبية أو إرشادية في دنيا المعارف والسلوكيات الجادة، وهو ما يدعو البشر إلى متابعة سلوكيات الكائنات غير البشرية والتدبر الجاد في تحركاتها.

وفى ذلك المقام تحضرني قصة حدثت معي وكانت معلمتي الحكيمة فيها (نملة) دقيقة، صادفتها أثناء سيرى على رصيف خال من المارة، فاستوقفتني بحركاتها السريعة المنظمة حيث لاحظت أنها تحاول بصبر وبجدية تحسد عليها أن تحمل قشة بدت أثقل من وزنها الفعلي أو من قدراتها الحقيقية، وفجأة برزت أقدام ضخمة لرجل قادم من الجهة المقابلة واعتقدت أنه سحق النملة المسكينة بأقدامه ووجدت نفسي غير قادرة على الاستمرار في طريقي قبل أن أعرف ماذا حدث لها بعد مضى العابر إلى سبيله وكأن الله أراد لي أن استمر في تلك الدورة التدريبية التربوية الاقتصادية البرقية حيث فوجئت بأن النملة لم تمت، وعرفت ذلك من معاودتها بفعل ذات التحركات المنتظمة السابقة ومحاولة توجهها نحو القشة المنشودة، إلا أنها أصبحت أكثر اضطراباً وبطئاً نسبياً في تحركاتها وأعتقد أنها أصيبت بفزع من

الحادثة التي كادت تهلكها تحت الأقدام الغليظة للعابر، وحسبت أن عجزها عن الثبات المنظم في حركتها وعن حمل القشة المنشودة كفيلاً بتوقفها عن تلك العملية الاقتصادية التي تنطوي على البحث عن موارد للطعام أو لبناء مأوى لها، وبعد لحظات قد تبدو لها ساعات طوال فوجئت بها تتحول عن القشة التي ثبت لها أن نقلها إلى مكان الاستخدام المستهدف لها يفوق طاقة النملة خاصة بعد تعرضها للحادث المفزع تواً، ولكنها مع هذا لم تنصرف بدون أن تتوجه إلى قشة أقل حجماً وقامت بحملها ثم صارت في طريق ومسار لا يعلم سوى الله وجهته النهائية. ووجدتني بعد عملية التدبر المتعمق في تلك الدورة التدريبية العملية المقدمة من الأستاذة (نملة) استكمل طريقي المستهدف وأنا أردد مبدأ اقتصادي رشيد ظللت أتبعه وأدرسه لتلاميذي حتى الآن **وهو ما لا يدرك كله، لا يترك كله!** كما تعلمت حكمة من تواجد النمل بين البشر وهو أنه يمثل عامل نظافة بيئية خاصة في الشوارع والطرق التي لا تفلح شركات النظافة المتخصصة في تخليصها مما يشوبها من ملوثات دقيقة أو مجهرية.

(4) هدهد سليمان كباحث ميداني وكمصدر للكشف عن معلومات إستراتيجية غير متوقعة للبشر:

يقول الرسول الكرم محمد ﷺ «إعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1]. وبالرجوع إلى قصة النبي سليمان عليه السلام، نجد أن الله منحه من النعم والقدرات والملكات ما لم يؤت للغالبية العظمى من البشر أجمعين، فقد علمه الله لغة الطيور بل وكيفية توجهاتها ومقاصدها ومداركها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾ [النمل: 16]، بل وأوتى سليمان من الله الملك غير المعتاد ومنحه السيطرة وكيفية التعامل مع

(1) الطبرى عن ابن عباس وعن عمران بن حصين في صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 1074

البشر كجيوش وأفراد وجماعات، بالإضافة إلى الجن والشياطين والوحوش والطيور وكثير من الكائنات الأخرى والدواب مثل النمل المعروفة قصته معه، وأنعم عليه بما لا يتخيله بشر من المعارف والعلوم وفهم وإدراك ومعرفة ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات[1].

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

وعلى الرغم من كل هذا، منح الله إحدى المخلوقات التابعة للملك والنبي سليمان قدرة لا يملكها سليمان بحيث تم تمكينه من تحصيل معلومات والتعرف على أمور لم يكن للنبي سليمان أية دراية بها ولا تعامل، وذلك ما حدث مع هدهد سليمان الذي يتضح من الآيات الكريمة أنه كان بمثابة باحث ميداني ومستكشف للمعلومات الإستراتيجية المتعلقة بالدول الأخرى (وهى ما تسمى باللغة الدارجة بالمخابرات أو الجاسوسية) وكان من أهم ما أثمر عنه نشاطه البحثي والتفقدي المعلوماتي للدول الأخرى بعيدة المنال والرؤية، هو اكتشافه لمنطقة (سبأ)، تلك المملكة الكبرى الهامة التي كانت تحكمها المملكة (بلقيس) وكان قومها لا يدينون بدين الله. وبإرادة الله عز وجل. كانت معلومات الهدهد التي نقلها إلى ملكه البشرى سليمان سبباً في تحول جذري لتلك المملكة وملكتها، ويقال أن الهدهد كان يعمل في مهمة أصلية هي التنقيب عن المياه ومصادرها في المناطق المقفرة وتحت تخوم الأرض، وعندما يكتشف ضالته يخبر القوم فيذهبوا إلى المناطق المكتشفة ليحفروها ويستخرجوا منها الماء المطلوب. لكن في هذه المرة وأثناء جولته التفقدية للمياه لاحظ وجود تلك المملكة فلم يهمل أمرها ويكتفي بأداء المطلوب الأساسي منه على المستوى المهني لكنه راقب وتتبع ولاحظ لكي يذهب إلى النبي سليمان

(1) الحافظ بن كثير، 99، ص 371

ليخبره بذلك الأمر الجلل ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النمل: 20-25].

وهكذا، نجد مخلوقاً ضعيفاً بالغ الرقة مثل الهدهد يعلن متباهياً بحالة أنه بتلك الواقعة أكثر علماً ودراية من سيده سليمان الذي كان يهدد تواً بعقابه وبذبحه إن كان قد أهمل ما أوكل إليه من عمل. ومن ذلك المنطلق لا نستبعد أبداً أن يكون الله سبحانه قد خلق كائنات من أجل تعليمنا أو مساعدتنا على اكتشاف ما يصعب على طبيعتنا الخلقية أن نتعرف عليه وحدنا.

(5) الفلكيات وطيور إبراهيم كوسيلة تعليمية تجريبية تشبه حيوانات التجارب المعملية المعاصرة:

ففي درس تجريبي علمي إيماني الصبغة، كان إبراهيم عليه السلام تواقاً للتعرف التجريبي الملموس على كيفية إحياء جثث قد ماتت وتحللت، ولعل رغبته هذه قد نجمت من جانب الجزء المادي الموجود في عقله البشرى، مثله مثل أي عقل بشرى آخر، ولعله اكتسب تلك الرغبة من خلال عمليات التفكر والتدبر في خلق الله بشكل عقلاني منطقي، وكلنا نتذكر بدايات قصته مع ذلك النمط التفكيري في رحلة بحثه الفكري عن الله بين الملموسات الطبيعية التي يلمسها بحواسه من قمر وشمس وغيره ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا

رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: 75-79].

ومن تلك الرحلة التجريبية العقلانية التفكيرية، نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام كان في كل مرة يستخدم فيها (ملموس) فلكي كوحدة افتراضية يعتقد أو يصرح بتصوره أنها هي الخالق لما يكتنفها من ظواهر طبيعية تفوق قدرات البشر والكائنات الأرضية التقليدية، ولكنه ينتهي باستنتاج واحد في كل مرات التجربة متعددة الوحدات المختبرة. أنها كلها برغم ما يكتفها من إعجاز نشاطي وإنتاجي إلا أنها كلها تعانى من قصور ما وهو (عدم دوام) عملها الوظيفي الذي يستخدم كمعيار تقييمي لاختبار توافر صفة الإلوهية المهيمنة على الدوام على كل شيء. ولم يمنعه هذا من التمسك بالافتراض الذي وضعه بشكل غير مباشر ولا منطوق، وهو أن لهذا الكون ولتلك الكائنات والظواهر الطبيعية رباً وخالقاً لها ومحركاً لها ومهيمناً على أقدارها. ومن ثم كانت النتيجة النهائية المنطقية التي أعلنها أن الله هو المحرك لكل تلك الوسائل الطبيعية في السماوات والأرض وتوقف عند حدود قدراته البشرية التي أراد الخالق لها أن تكون هكذا .. (محدودة) لأن اللا محدودية في العلم والهيمنة لا يملكها أبداً سوى الله الخالق وحده سبحانه.

ثم تستمر الرحلة الفكرية العقلانية التجريبية المنطقية التالية لإبراهيم عليه السلام حين رغب في التعرف على المنطقي العقلاني الملموس على كيفية انبعاث حياة لمن مات وتحلل وذلك وفقاً لما أخبر الله تعالى به عن حقيقة البعث والقيامة ويوم الحساب. ومن الجلي أننا نستخدم مصطلح (العقل) كتعبير خطأ عن مواضع التفكر المنطقي العلمي، لأن المصطلح الصحيح الذي ورد في الآيات الشاملة للقصة الجارية كان (القلب) وفى كثير من الآيات الأخرى إما يستخدم ذلك المصطلح

بعينه أو يستخدم مرادف مماثل وهو (الفؤاد) مثلما نجد في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36].

ونحن مثلاً عندما نجد أمراً أو حدثاً غير معتاد نقول قولتنا الفطرية الشهيرة (يا مثبت العقل والقلب يا رب) كنوع من الاستغاثة حتى لا يصيبنا خبال عقلي، غير أن الآيات تدلنا على أن الخبل العقلي أو الفكري يكون محله الفؤاد بدليل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32]، وكلنا نعلم الحديث النبوي الصحيح الذي يرشدنا إلى ما يجب أن نفعله في حالة اختلاط بعض المتناقضات على أفهامنا ومداركنا، فعلينا وقتها استفتاء القلب. فعن وابصة بن معبد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له «جئت لتسألني عن البر والإثم فقال نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت به، في صدرى ويقول يا وابصة **استفت قلبك واستفت نفسك** ثلاث مرات البر ما **أطمأنت إليه** النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»[1].

وبالرجوع إلى طيور (التجارب) التي استخدمت في الدرس العلمي التعليمي التجريبي من الله سبحانه وتعالى للباحث المتفكر المنطقي إبراهيم عليه السلام، وجدنا كل الدرس التعليمي هذا ملخصاً في كلمات القرآنية الإعجازية التالية ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 260].

---

(1) رواه الإمام أحمد (17545)

(6) حمار العزير كوسيلة تعليمية تجريبية للتوصل إلى مسلمة حول إحياء الموتى كقدرة إلهية منفردة:

مثل الحال المتعلق بطيور إبراهيم عليه السلام، ففي قصته مشابهة ولكن في زمن أخر وبكيفية أخرى. وملخص ما روى عن تلك التعليمية التجريبية التي علمها الله سبحانه وتعالى لعبده الصالح «عزير». أن عزيراً كان عبداً صالحاً حكيماً، خرج ذات يوم إلى ضيعة له. وبعد انتهائه من عمله فيها، كان الطقس شديد الحرارة خاصة أن الوقت آنذاك كان في الظهيرة، فأخذ معه (حماره) ومكث معه في خربه أو مغارة لاتقاء حرارة الشمس الوهاجة وكان معه سلة بها بعض الثمار التي اقتطفها من ضيعته من تين وعنب وخبز. فاعتصر العنب وألقى فيه كسرات الخبز ليبتل ويطرى بعض الشيء، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: 259].

فنظر إلى سقف تلك الخرابة وظل يتصور حالها الخرب الآن، وما يعترى عروشها من بلى وتهرؤ وأخذ يتعجب من أنها مع ذلك مازالت قائمة يمكن الاستظلال بها، برغم أن السكان من أهلها قد ماتوا وأصبحوا عظاماً بالية وتساءل في نفسه سؤال الباحث المتفكر ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾ [البقرة: 259]، فأرسل الله ملك الموت فقبض روحه ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة: 259] وبعد تلك الفترة الطويلة بدأ درس «قدرة الله على إحياء الموتى» كمسلمة أو كبديهة في مجال «الخلق والموت والبعث» فبعث الله إلى عزير ملكاً، فخلق (قلبه) ليعقل به و(عينيه) لينظر ويستبصر ويرى بها الدلائل المنطقية الملموسة، لأمور غير منظورة ولا محسوسة وهى تلك المرتبطة بعمليات الإحياء والموت والبعث، ثم كسى عظامه باللحم والشعر والجلد ، ثم نفخ فيه الروح .. وأتاح لعزير رؤية ومراقبة كل ما يحدث له من كسوة عظامه ومن نفخ روحه وكان عزير يعتقد أنه يستيقظ من نومه الذي طال لمدة يوم أو جزء من يوم فقط ولم يدرك أبداً المائة عام التي غاب فيها عن

عالم الدنيا طالما استيقظ فيه على ذات الحال التي كان عليها وقت موته ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة: 259]. ووجد أن العصير مازال على حاله وأن الخبز مازال يابساً على ذات الحال قبل موته مباشرة ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ ﴾ [البقرة: 259].

كل هذا كان أمراً طبيعياً لا يحث عزير على الاعتقاد بحدوث أي أمر غير مألوف، لكن عند نظره إلى حماره بدء في الاستدلال العلمي المنطقي حين وجده ميتاً، وعظامه بالية نخره، وبقدرة الله تعالى وباستخدام الملك المرسل لتنفيذ التجربة التعليمية التجريبية نادى الملك عظام الحمار فأقبلت من كل ناحية وقام الملك بتركيبها كما كانت قبل موته وتحلله، ثم البسها العروق والأعصاب، ثم كساها لحماً، ثم أثبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء، ناهقاً لأنه يظن أن ذلك يوم القيامة ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259].

فلما أفاق عزير من دهشته وتمكن من استيعاب الدرس العلمي التجريبي المعجز، أقرن بنظرية منطوقه حول القدرة الإلهية اللا محدودة والتي كان يؤمن بها ولكن لم يلمس أبعادها بشكل تجريبي محسوس حتى تلك اللحظات المشهودة[1]. ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259].

(1) مزيد من التفاصيل حول القصة وشرحها، الإمام الحافظ بن كثير 1999، مرجع سبق ذكره، ص 400-405.

(7) دابة الأرض ومسلمة أن (فوق كل ذي علم عليم) وان أصغر المخلوقات وأحقرها مظهرا قد تكون أفضل علما وأقوى هيمنة وقدرة من البشر المتباهين بعقلهم وبقدراتهم:

من أسوأ ثمار الحضارات الفكرية والعلمية المعاصرة، تمادى كثير من البشر خاصة العلماء منهم، في تعظيم (الأنا) و(العقل) البشرى حتى بلغ اعتقاد بعضهم بإمكانية استقلالهم عن خالقهم وإمكانية انفرادهم بالهيمنة الكونية، بل ومنافستهم المتبجحة على الله الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون. وفى ذلك نتذكر تصريح العالم المصري العالمي ذائع الصيت «أحمد زويل» بأن (نيوتن) كان (متديناً)، في خطبة له قدمها في مؤتمر بتونس في يوم السبت 7 يوليو 2012 حول كيفية النهوض بالجانب العلمي بعد انتهاء ما يطلق عليه بثورات الربيع العربي !!! وكان يريد بذلك التوصيف إقناع الحضور بضرورة فصل الدين عن العلم لأن «الدين لا يستطيع أبداً الاندماج مع العلم» وذلك كما صرح ذلك العالم المبالغ في عقلانية أفكاره وتوجهاته .. وتصريحاته.

وقبل الحديث عن موضوعنا الرئيسي حول دابة الأرض الأكثر (علماً) من الجن والبشر، نود أولاً أن نوضح أن ذلك الـ (نيوتن) أدعى بأن الخالق «كان لاعباً أساسياً عند بدء الخليقة للكون فقط»[1]، كما أعلن ذلك الفلكي والرياضي المقدس من قبل البشر لاكتشافاته الفلكية المتميزة أن (الله منح الإنسان كتابين فقط هما الكتاب المقدس والطبيعة) وزعم بأن لغة كتاب الطبيعة هي لغة الرياضيات وبأن استخدام الرياضيات والتجربة يمكن أن توصل الإنسان إلى نتائج علمية صحيحة بدون الاستعانة بالكتابات المقدسة مثلما - يدعى - أنه قد حدث معه،

---

(1) تودج بوشهولز، 1996، ص 29.

عند وضع قانونه الخاص بالأجسام المتساقطة[1].

لقد دلنا الله على تلك (الأنويات) البشرية الملحدة بتعظيم عقولها وقدراتها العلمية في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24].

إن الله علمنا أنه الأعلم بكل الأمور والأحداث والعلوم والفكر. وهو وحده الذي يهب بعض من علمه اللادونى لمن يشاء بشراً كان أم مخلوقات ضعيفة تعتبر في نظر الكثيرين بالغة الوهن لإمكانية القضاء عليها بضغطة أصبع أو بضغطة قدم! مثل دابة الأرض أو السوس أو الدود، فكله يعلم متى يصبح طعامهم من الأخشاب وجثث البشر وسائر المخلوقات الأخرى جاهزاً وناضجاً بالنسبة لهم فيذهبون إليه سراعاً لالتهامه بينما البشر الأحياء غافلون بنزق بشريتهم عن ملاحظة بديهيات مجريات الشواهد والأحداث.

ذلك ما حدث تمامًا حين مات سليمان عليه السلام، ومع ذلك لم يفطن الجن ولا الإنس ولا المخلوقات التي كانت تعمل تحت هيمنته لما حدث، وظل الجميع يواصلون أعمالهم وانجازاتهم لفترة زمن طويلة يقال أنها امتدت نحو 100 عام. والمخلوق الوحيد الذي منحه الله تعالى معلومة موت سليمان كانت دابة الأرض التي بمجرد علمها بموت سليمان سارعت إلى عصاه التي كان يتوكأ عليها وقت انقباض روحه وظلت تأكل منها وتنخرها بلا كلل ولا ملل .. والكل حوله يرونه في جلسته هذه في وضع تخيلونه معتاد !! ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤ ﴾ [سبأ: 14].

---

(1) المرجع السابق، ص 28.

ومن ذلك النموذج التعليمي غير المباشر، يمكن أن إدراك أن غاية العلم الراقي والصحيح لا يقتصر على جنس البشر وعلى عقل البشر فقط حيث دائماً ما يسود اعتقاد يتطلب التحقق من صحته وهو أن (الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات «بالعقل»)، فها هي تلك (سوسة) أو مخلوقه بالغة الضعف تعلم ما لم يعلمه ليس البشر وحدهم ولكن الجن الذين يلجأ إلى الاتصال بهم كثير من الناس للتعرف على غيب لا يملكه ومفاتيحه إلا الله وحده. كما أن هناك درساً آخر يمكن الاستفادة منه في مجال البحث العلمي، وهو استخدام المخلوقات الأخرى في عمليات الاستكشاف والاستدلال العلمي الذي يفوق معارف وإمكانيات البشر، مثل التنقيب عن مصادر الموارد الطبيعية الكامنة كالبترول والمعادن، فبكل تأكيد ستتأكد مسلمات حول تواجد كائنات بعينها تنمو وتتكاثر وتتواجد في مثل تلك المناطق وتعمل كمصابيح كاشفة يتيحها الله للإنسان الباحث عن حقائق الأمور ومصادر العلم والثروة وغيرها الكثير. وفى النهاية يجب أن نتعلم أن كل ما يظهر من علم بشرى متقدم ما هو إلا جزئية لا تذكر من علم صاحب العلم القدير ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: 85].

(ج) خلق الإنسان، والظواهر الطبيعية:

1- نشأة الإنسان ونموه ونهايته، وما بين كل هذا:

ما من شك، في أن تتبع عملية خلق الإنسان منذ أن كان نطفة ثم جنيناً له عالمه الخاص داخل (دنيا بطن أمه أو رحمها)، ثم وليداً يعيش مدة أربعين يوماً لا يدرك من حوله ومع هذا يبكى إذا جاع أو شعر بألم، ويعرف مكان غذائه فيهرع إليه في مكانه المحدد بجسد أمه أو مرضعته ويقبل لبن الأم ويرفض تناول الأدوية والعقاقير ذات المذاق المختلف، ثم يتدرج تنامى ذلك المخلوق البشرى الضئيل

ليصبح شاباً يافعاً كامل المدارك ورشيد الأفكار والأحاسيس .. ثم ينتهي به الحال إلى ذات مرحلة الطفولة إن بلغ به العمر أرذله، ليذهب في النهاية إلى دنيا المجهول .. كما جاء في البداية من دنيا المجهول بالنسبة للإنسان العادي .. ما من شك، في أن تتبع تلك العملية، وغيرها من مظاهر خلق النفس والغير من المبدأ إلى المنتهى، ومن عجائب التركيب البشرى واختلاف في الألوان والألسنة وغيرهما، لابد أن يكون كل ذلك مصدراً ذاخراً بصنوف صعبة الحصر من معارف ومعلومات ترتبط كلها بعلم الإنسان الذي سُمِّى بـ (الأنثروبولوجيا). وقد أرشدنا الله تعالى في قرآنه الكريم إلى الأهمية البالغة في الاستعانة بذلك المصدر التعليمي العام وذلك بقوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21].

2- الآفاق من أقطار السماوات والأرض وغيرهما:

فقد أرشدنا الله تعالى إلى مصدر معلوماتي، تعليمي، تربوي أخر بالغ الأهمية وهو الآفاق من أقطار السموات والأرض من نيران ونبات وأشجار وظواهر طبيعية ... الخ، ففي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: 53].

ولقد ذكرت (الأرض) في مواضع كثيرة من القرآن للتذكير بأهميتها ليس فقط كمورد اقتصادي يستخدم أو كموطن معيشي وسكنى للبشر وللكائنات الأخرى، لكن أيضاً كوسيلة تعليمية ومصدر غنى بالمعارف الاستدلالية النظرية، وبالموارد المجهولة التي تحث الإنسان على ضرورة العمل من أجل التعرف عليها والاستفادة بها. وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الذاريات: 20]، ثم يتبعها بنفس المصدر التعليمي المحوري المتمثل في خلق الإنسان ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21].

أما عن التيار الفكري العلماني أو الملحد الذي يدعى أن الأرض والطبيعة هي المتحكمة في عملية الخلق والظواهر الطبيعية المختلفة، حيث اتخذت الأرض والطبيعية رباً بديلاً للخالق سبحانه وتعالى، فنقول لهم أن كل ذلك من مخلوقات الله سبحانه، وأنها جميعها تمارس أنشطتها بأمره وحده، وإلا فكيف يفسرون وجود أراضى موات لا تصلح للاستزراع برغم كل ما يبذلونه من جهود لتحقيق ذلك الهدف، ومع هذا نجد أرضاً أخرى لم يفعل لها الإنسان أي شيء ومع هذا تتنامى بزروع شتى لمجرد نزول المطر عليها. وفى نفس الوقت تظل الأراضي القفراء الأخرى مجدبة برغم نزول ذات المطر عليها؟! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: 39].

ومن الظواهر الطبيعية التي يمكن استخدامها كمصادر معرفية خاصة في مجال العلوم الحسابية والرقمية والفلكية ظاهرة تعاقب الليل والنهار ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: 12].

3- قصص تعليمية واقعية:

ومن القصص الواقعية الشهيرة التي تدل على أن التأمل في الآفاق وفى الظواهر الطبيعية يمكن أن يعلم الإنسان الكثير، وأهمها التعرف إلى الله عز وجل والاستدلال على وجوده، قصة عالم الفضاء الروسي (يورى جاجارين) الذي صرح بأنه عندما صعد إلى الفضاء الواسع سمع صوتاً وكلمات عجيبة تنطلق بترنيمات لا يعرفها ولم يسمعها من قبل في بلاده (المعروفة بالاتجاه الشيوعي الملحد). وعندما زار مصر فوجئ بسماعه لذات الترنيمات، فلما سأل عرف أنه صوت الآذان فكان تدبره العقلاني لما حدث في الآفاق الرحبة وعلى أرضنا الدنيا من ذات الظاهرة غير المألوفة لديه سبباً لهدايته إلى اعتناق الإسلام.

ويلاحظ من تلك القصة الواقعية أن ركائزها كانت ملاحظات وشواهد طبيعية، ثم تحولت – إلى تحليل منطقي علمي بحث، ثم انتهى بثمار دينية بحتة وهى تغيير حال الإلحاد إلى اعتناق دين التوحيد – وهو يمكن أن يستخدم كدليل دامغ على حتمية الربط بين العلم الدنيوي والدين الروحاني لأن كلاهما يكملان بعضهما كأسباب، وكوسائل، وكنتائج وثمار نهائية.

4- مدرسة الطبيعيين كنموذج غير إسلامي لاستخدام الطبيعة كجانب روحاني أساسي للعلم البشرى المادي:

وفى ذلك التلاحم الوثيق بين الدين والعلم قد يفيد عرض نموذج آخر يمكن التقاطه من المدارس الفكرية غير الإسلامية التي أصبحت محل إتباع وتداول علمي موثق موثوق به حتى الآن، وهو نموذج مدرسة الطبيعيين. فقد كانت تلك المدرسة الفكرية تتكون من مجموعة من علماء الطب والفلك والعلوم والطبيعة، وتتبعوا بدقة علمية ومنطقية الظواهر الطبيعية الفلكية خاصة ما يتعلق منها بحركة المجموعة الشمسية، وكذلك آليات عمل أعضاء الإنسان وكيفية أدائه لوظائف المتشعبة، وخاصة ما يحدث في الدورة الدموية للإنسان. ونتج عن ذلك التحليل التبعي مبدأ هام وهو حتمية ترك النظام الطبيعي للظواهر وللموارد يعمل كما هو ووجوب عدم التدخل البشرى بتعديله، ولا يجب أن يحدث أيضاً أي تدخل في تعديل مسارات الدورة الدموية في جسم الإنسان، لأن الخالق (وفقاً لقولهم) أعد الكون ومخلوقاته وفقاً لنظام طبيعي معقد، وأي تدخل فيه سوف يتسبب في الإخلال بالتوازنات الحادثة مما يمكن أن يؤدى إلى إهدار ودمار ما يصاب بالتدخل البشرى القاصر في علمه ومداركه[1].

---

(1) زينب الأشوح، 97، ص52.

5- من المدارس الطبيعية التعليمية التجريبية:

ولقد تأكدت صحة القوانين والمبادئ الطبيعية التي تضمنتها مدرسة (الطبيعيين) من خلال وقائع فعلية مثلما حدث في الصين حين تمت عملية ناجحة في إبادة قومية شاملة للذباب شارك فيها الشعب الصيني (المعروف بجديته وبتفانيه في إنجاز المطلوب منه). ولكن بعد اختفاء الذباب، تم اكتشاف الخطأ الجسيم لتلك العملية حيث اكتشف ما لم يدرك من قبل (برغم وضوحه لمن يتابع ويتبصر)، أن الذباب هو في واقع الأمر من أهم المنظفات البيئية الطبيعية لأن من أنشطته ووظائفه، تحليل القمامة وروث المواشي ونفايات الإنسان والحيوانات النافقة.

وفى تجربة مماثلة في نفس الدولة التي لم تستوعب الدرس جيداً، حيث لوحظ أن العصافير تتغذى على 10٪ من المحاصيل الزراعية. فتم شن حملة إبادة (جماعية) ناجحة عليها، وأيضاً، تم اكتشاف خطأ تلك الحملة برغم نجاح أهدافها، حيث بدأت البلاد بعد حدوث تلك الإبادة (الناجحة من وجهة نظرهم) تعانى من تكاثر شديد لبعض الحشرات الضارة بالمحاصيل الغنية، بل وبالبيئة المحيطة من حولها أيضاً. وتعلم المسئولون درساً مفيداً من ذلك الخطأ، فتم سن قوانين لحماية العصافير، بل وكل الكائنات التي اتضح أنها تفيد في التهام الحيوانات المريضة والنافقة والتخلص منها بشكل طبيعي مما يساعد في إعادة التوازن البيئي النظيف بالبلاد[1].

وما لنا، لا نتذكر حادثة الإبادة الجماعية للخنازير في مصر في عامي 2009، 2010 حين انتشر وباء حمى الخنازير، فاتبعت تلك الحملة كإجراء وقائي ضد ذلك المرض الوبائي المفزع، ألا نتذكر ما حدث بعد (نجاح) أهداف تلك الحملة؟ لقد تراكمت جبال القمامة وملوثات البيئة حتى في أرقى المناطق السكنية في مصر

---

(1) احمد عبدالوهاب، 95، ص 571، 572.

بشكل خرج عن إمكانيات البشر وشركات القمامة الأجنبية العاملة في مصر ومحاولاتهم من أجل تخليص مصر من تلك الظاهرة البيئية المفزعة - لماذا حدث هذا؟ لأن الخنازير كانت تستخدم كأوعية قمامة طبيعية، حيث كان غذاؤها الرئيسي يتمثل في كل أنواع القمامة، فلما تم التخلص من تلك المنظفات البيئية الحيوية الطبيعية، فشل الإنسان في توفير البديل الاصطناعي المماثل في الكفاءة الوظيفية المستهدفة.

من أجل هذا، ترشد التعاليم الإسلامية التعليمية التربوية إلى توخى الحذر في عمليات إبادة مثل الكائنات الأخرى إلا لضرورة فعلية. ومن ذلك عدم قتل الطيور عبثاً وذلك كما ورد في الحديث الصحيح «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[1].

6- الظواهر الطبيعية هي أول مدرسة لتعليم الإنسان البدائي وهى أول شكل للمدارس التعليمية الانتظامية:

عندما يقول الله تعالى للبشر ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: 13] فلابد أن يوقن هؤلاء البشر أن كل ما في السماوات والأرض ليست فقط بمثابة موارد طبيعة يتيحها الله سبحانه للإنسان من أجل إنجاز عمليات الإعمار والتنمية الاقتصادية المعيشية، لكن أيضاً فهي بمثابة أسس ووسائل تعليمية مجانية متاحة لمن يريد أن يتعلم وينمى قدراته وملكاته، حتى إن عجز عن الالتحاق بالمؤسسات التعليمية النظامية. ويمكن دعم تلك الرؤية الاستنباطية من كثير من الآيات القرآنية مثل التي أشير إليها تواً، وسابقاً،

---

(1) رواه النسائي وابن ماجه في صحيحه، وحبان في صحيحه، الكنز الثمين للحسنى، رقم 3852، ص 585.

وأيضاً مثلما توضح الآية الكريمة ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية: 4] حيث يمكن اعتبار تلك الآيات القرآنية مسلمات وبديهيات ثابتة يمكن أن نبنى عليها افتراضات وفرضيات وركائز تحليلية لا نهاية لها.

أما ما يغفل عنه الكثير من البشر فهو إغفال الدور التعليمي الأساسي المباشر لتلك الأمور الظواهر الطبيعية واعتبار ما يدرس منها بمثابة مقررات منهجية تتم دراستها بالشكل التقليدي داخل أروقة المؤسسات التعليمية المعتادة، أو من خلال المعامل والقاعات التجريبية البحثية التخصصية.

فإن ذكرنا مثال (نيوتن) حين اكتشف قانون الجاذبية الأرضية من خلال تأمله لظاهرة طبيعية تمثلت في سقوط تفاحة من شجرة يجلس تحتها، قد يقول قائل انه بنى ذلك القانون من خلال نظريات وقوانين رياضية قام هو وآخرون بها من قبل ومن بعد ! ولنرجع إلى قوله هو كعالم منغمس في القدرة الخارقة للأنا البشرية حين ادعى بغطرسة (الأنوية العلمية البشرية) أن الخالق (كان لاعباً أساسياً عند بدء الخليقة للكون فقط) !!![1]، ومثله فعل الفلكي الملحد «جالليليو جاليلى» حين قال (إن الله منح الإنسان كتابين فقط هما الكتاب المقدس والطبيعة، وزعم أن لغة كتاب الطبيعة هي ذاتها لغة الرياضيات)، وأدعى أنه باستخدام لغة الرياضيات والتجارب الطبيعية، تمكن الإنسان من التوصل إلى نتائج علمية صحيحة بدون (الاستعانة بالكتابات المقدسة) !!! ودلل على صحة ما يقول بتمكنه من وضع قانونه الخاص بالأجسام المتساقطة بدون الحاجة للاستعانة بتلك الكتابات المقدسة[2]. وجهل هذين العالمين المتغطرسين وأمثالهما أن كل ما تعلماه هو بإلهام

(1) تودج بوشهولز، 1996، ص 29.

(2) المرجع السابق، ص 28.

من الله وبإرشاد من قبل ما يحدث من الظواهر الطبيعية التي سخرها الله للإنسان كما ورد في الآية ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: 13] وجهل هؤلاء أن الله هو الخالق لكل البشر وهو الخالق لعقولهم ولما يتمتعون به من إمكانيات عقلية وتحليلية وتشغيلية وغيرها «إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعته»[1].

ومن أكبر الأدلة على أن الطبيعة ومظاهرها، والدواب وغيرها يمكن أن تمثل وسائل المدرسة التعليمية الأساسية الأولى في حياة الإنسان، ما يمكن الوقوف عليه حين نعود بعجلة الزمن التاريخية إلى عصر الإنسان البدائي الذي تعلم كل شيء في مدرسة الحياة والطبيعة التجريبية بإلهام من الله وفضل، وكان من الدروس الهامة التي تعلمها الإنسان البدائي هي أن لكل مورد خاصتين إحداهما سلبية أو مهلكة، والأخرى إيجابية ونافعة. وكانت الوسائل التعليمية وقتها: حرائق الغابات، والنيران، وجثث الحيوانات المحترقة، وكذلك جلد الإنسان وما صاحب ذلك من (افتراضات) أو أحوال سائدة من برودة قارصة وظلام دامس تصعب الرواية فيه!

فقد أشارت إحدى الدراسات التاريخية الرائعة[2]، إلى أن الدرس التعليمي الفعلي كان قد بدأ وقت حدوث اشتعال لنيران كثيفة، وقوية في الغابات التي كان يعيش الإنسان البدائي في ربوعها، وقد حدثت تلك الحرائق بفعل العوامل الطبيعية وتفاعلاتها المختلفة، فشعر بلهيبها الذي كاد يشوى لحمه ويؤلمه عند اقتراب ألهبة النار منه، فسارع بالابتعاد عنها وأدراك أن النيران شيء سيء يجب تجنبه. لكنه لاحظ، أن إشعالها وقت الظلام الدامس، يضيء المكان كله ويمكنه من رؤية كل ما

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج1، 1777.
(2) هندريك فان لون، 1958، ص 14.

حوله كأنه وقت النهار المألوف، كما لاحظ أن تلك النيران لا تفيد فقط كوسائل للإنارة والاسترشاد، لكنها أيضاً تبعث الدفء في المكان المتجمد بفعل العواصف الثلجية القاسية، فأدرك الإنسان أن النار تنطوي على منافع كثيرة له. وتعرف على منفعة جديدة لها، حين كان يبحث وقتها عن غذاء حيواني ليصطاده، فوجد جثة حيوان محترق، فسحبه ليأكل منه كغذاء مضمون أكثر من حيوان برى لم يظهر بعد في الأفق، وعند تناول لحمه لاحظ أنه أفضل رائحة وأطيب مذاقاً مما يأكله من لحوم الحيوانات الحية المعتادة.

ويبدو أنه فكر كثيراً في كيفية الاستمرار بالاستفادة من تلك النيران لمدد زمنية أطول، فتتبع أسباب زيادة اشتعالها فوجدها في الأشجار المتناثرة، فأدرك أن تلك الأشجار يمكن استخدامها ليس فقط لالتقاط الثمار أو للاستظلال بها، لكن أيضاً كوسائل للوقود، وعندما تساقطت الأمطار وجد النيران قد انطفأت عند الأشجار المبتلة بينما ظلت مشتعلة في الأشجار التي لم تتساقط الأمطار عليها، ومن ثم سحب جذع شجرة جافة مشتعلة وأدخلها داخل مسكنه البدائي، فأضاءت له المكان، وبعثت على المكان الدفء ومشاعر لذيذة أخرى لم يعهدها من قبل ..

واستمرت مدرسة الحياة في العطاء التدريبي والتعليمي، وارتقى الإنسان على درجاتها المعرفية، وتعلم من الطير صناعة الطيران، وتعلم من القط كثير من الرياضيات، وتعلم من النمل والنحل دروس الفرق التعليمية والبحثية الجماعية والعمل الإنتاجي الجماعي، وتعلم .. وتعلم .. ومازال يتعلم، لكنه بمرور الأيام وحدوث التراكم المعرفي لديه أصبح جاحداً ومتجاهلاً لأهم مصدر معرفي نموذجي وهو العلم الإلهي الشامل والخالد والثابت !!!

وبوجه عام، فمن يرغب في التعرف على المزيد المتعمق حول كيفية الوصول إلى مزيد من الأفكار والمعلومات المفيدة من خلال التدبر في عملية الخلق وفى

الظواهر الطبيعية على اختلاف أنواعها، يوصى بالرجوع إلى الكتاب الموسوعي الذي يمثل تجربة فعلية متكاملة قام بها استشاري في طب الأطفال ودونها في كتابه «تبارك الرحمن في خلق الإنسان»[1].

ثانياً: المصادر والوسائل المعرفية التقليدية:

وهى تلك التي تحظى بقبول واتفاق غالب بين الأوساط العلمية والمعرفية التقليدية والتي يتم الاستعانة بها بصفة خاصة في مجالات البحث العلمي المتخصص. وقد يكون من الأفضل عرضها من خلال تصنيفين منفصلين لدواعي الدقة التفسيرية المستهدفة وذلك مع افتراض احتمالات حدوث تداخل في مكوناتها في كثير من الأحوال.

(أ) **بعض المصادر التقليدية الهامة للأفكار وللبيانات وللمعلومات:**

1- الدراسات السابقة:

ويفضل منها الدراسات الموثقة بإحصاءات ونظريات وبمراجع حديثة ومتخصصة، وتلك التي تم نسج مكوناتها بواسطة مفكرين وعلماء من أهل الخبرة والتخصص، وأن تكون تلك المرجعيات معروضة بلغة واضحة ومفهومة تماماً وملائمة للطاقة الاستيعابية الفكرية والمعرفية لقارئها. ومن الأمثلة على تلك المراجع، الكتب والقواميس البيانية المتخصصة والرسائل العلمية المعقدة وأعمال المؤتمرات والندوات ..... الخ.

2- المصادر الإحصائية:

وهى التي تشمل بيانات ودلالات رقمية وأشكالاً بيانية وجداول تصنيفية

---

(1) طه على سيف، 2000.

توضحيه وتصنيفية لها. وفى تلك الحالة، عادة ما توجد مجموعتان أو ثلاثة من المصادر الإحصائية:

أ- مصادر أولية أو أساسية:

وهى المصادر الأصلية التي تم من خلالها تجميع البيانات والمعلومات المعروضة، وكلما كان ذلك المعروض موثق ومعروف كيف تم حسابه وتقديره، كلما دل ذلك على كفاءة المصدر وارتفاع درجة صلاحية المرجعية والعكس بالعكس صحيح.

ومن الأمثلة على تلك المصادر النشرات الإحصائية الدورية المحلية (مثل نشرات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء)، ونشرات الوزارات المتخصصة (مثل نشرات وزارة الاستثمار ونشرات وزارة السياحة .....)، والنشرات الدورية العالمية (مثل منشورات الأمم المتحدة، ومنشورات صندوق النقد الدولي ...).

ب- مصادر ثانوية:

وهى التي ترد فيها بيانات ومعلومات نقلاً عن المصادر الأساسية الأصلية أو بشكل حسابي مختلف، أو بطريقة غير مباشرة، مثل تلك الواردة في الدراسات المختلفة كنتائج لتحليلات أو لاستنتاجات منطقية معينة أو المنقولة عن مصادر مختلفة كمصادر إعلامية أو من خلال عقد لقاءات مع متخصصين ..... الخ.

ج- مصادر ميدانية:

وهى مصادر أولية وأساسية لكنها تختلف عن السابق ذكرها في أن من يقوم بتجميعها مباشرة هو الباحث المعرفي ذاته حيث ينزل إلى الميدان المعنى له ويبدأ بتجميع البيانات من خلال وحدات بشرية معينة.

ودور الباحث الميداني يختلف هنا عن دور الإعلامي التقليدي، في أن الأول يكون مفيداً بضوابط وبشروط علمية لا مناص منها سواء في اختيار العينة الاختبارية الأولية أو في اختيار العينة الدراسية النهائية، أو في تصميم استمارة الاستقصاء

الملائمة، أو في تحديد طبيعة وأسلوب ذلك التحصيل المعرفي إن كان سيتم من خلال مقابلات شخصية، أو ملأ استمارة استبيان معينة، وإن كان من سيقوم يملئها الباحث ذاته أم آخرون ومن هم هؤلاء الآخرين؟ ..... الخ.

3- مصادر وثائقية وتاريخية ومستندات رسمية:

خاصة في مجالات الدراسات التاريخية أو الدراسات التطبيقية المباشرة على وحدات بعينها

4- وحدات تجريبية ملائمة لموضع الاهتمام المعرفي المنشور:

مثل محاليل الاختبارات المعملية، وحيوانات التجارب التشريحية ومساحات أراض وصوبات في المجالات الزراعية ... الخ.

5- وسائل الكترونية واتصالات:

مثل استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي والهواتف الأرضية والجوالة خاصة في حالات الأهداف المعرفية الخارجية عن نطاق التواصل المباشر بين الباحث المعرفي من ناحية وبين ما يريد التعرف عليه من ناحية أخرى. وذلك يحدث أكثر في حالات البحوث المعرفية الدولية.

6- تجارب سابقة لآخرين:

من باحثين أو دول أو مؤسسات ... الخ، مع التتبع التاريخي الشامل للتجارب العينية، وهو مصدر هام جداً يرتبط بالمنهج التاريخي الذي يفيد في إتاحة استعراض صورة شاملة للبدايات ثم تطوراتها ثم للنهايات التي آلت إليها تلك البدايات .. ومنها يمكن للمحلل المعرفي المحنك استقرار واستنباط العديد من المعلومات والروابط المباشرة وغير المباشرة التي تمكنه من الخروج بصورة معرفية وتطبيقية أكثر رشداً وإتقاناً.

(ب) بعض المناهج والوسائل والأدوات المستخدمة في مجال الاستجلاب والاستغلال المعرفي الجيد:

1- المنهج المعرفي أو العلمي:

هو الطريق أو المجال المستهدف إتباعه في الرحلة المعرفية المعنية ومن أنواع المناهج المعرفية أو الفكرية أو العلمية السائدة نجد المنهج التاريخي (القائم على تتبع الظاهرة أو الموضوع محل الفحص والتساؤل في خلال فترة معينة قد تقصر أو تطول وفقاً لطبيعة الدراسة المعرفية المستهدفة مثل تتبع نشأة وتنامي الاقتصاد الإسلامي كفكر وكعلم وكنظام. وفى تلك الحالة، وعلى عكس اعتقاد الغالبية العظمى من الذين يبدأون دراساتهم في ذلك المجال منذ ظهور الإسلام كديانة ظهرت على يد النبي محمد ﷺ فقط، لكن لابد أولاً من التعرف على جوهر مصطلح الاقتصاد أو هو الندرة النسبية للموارد بالنسبة لتعدد الحاجات) ثم التتبع التاريخي لحقيقة بداية ظهور تكل الندرة، حيث سيفاجأ الكثيرون بأنها حدثت قبل نزول آدم عليه السلام إلى الأرض[1]. وذلك يوضح أن المنهج التاريخي ليس مجرد منهجاً يستخدم لنقل المعلومات والتجارب فقط، لكنه يساعد على الخروج بجديد لم يفطن إليه الغير. ويتم ذلك بشكل أفضل مع دعم ذلك المنهج باستخدام مناهج أخرى من التالى ذكرها وهى: المنهج الاستقرائي (أي الخروج بنتائج لها علاقة مباشرة بما حدث فعلاً)، والمنهج الاستنباطي (أي استنتاج معلومات جديدة بواسطة الباحث استرشاداً بالتجارب الماضية أو بالأعمال المناظرة لآخرين).

ومن المناهج الأخرى نجد كذلك المنهج الوصفي (مجرد وصف للأمور كما هي على سبيل الإيضاح الأفضل وتسليط الأضواء على المبهم منها)، والمنهج القياسي

---

(1) انظر مزيد من التفصيل إلى زينب الأشوح، 2010، ما الذي يجب عليك أن تعرفه عن الاقتصاد الإسلامي باللغتين العربية والإنجليزية معاً

والمنهج الإحصائي والمنهج الرياضي ... (وكلها تقوم على معالجات تحليلية أكثر تعقيداً).

2- الوسائل المعرفية:

وهى التي بواسطتها تتم العملية المعرفية وتكتمل ومنها الوسائل المادية المعتادة، مثل القلم، والكتاب، والورق، والمعامل، وأراضى التجارب ... الخ، والوسائل التحليلية البحثية، مثل المبادئ والقوانين والنظريات، والجداول، والأشكال البيانية، ووسائل التحليل المختلفة كالوسائل الإحصائية (مثل الارتباط المتعدد والانحدار) والبرامج التحليلية (مثل برنامج STP لتحليل السلاسل الزمنية وSPSS لتحليل بيانات مرتبطة بالدراسات الاجتماعية).

3- الأدوات المعرفية:

تقترب كثيراً من مفهوم الوسائل المعرفية لكنها لا تمثل الأصول والقواعد المعرفية التي يتم بناء معارف الباحث عليها (كما هو في الوسائل التعليمية)، إنما هي تمثل أدوات ملموسة تتم الاستعانة بها لاستكمال العمليات المعرفية المستهدفة - مثل أجهزة الحواسب الآلية اللازمة لتطبيق البرامج التحليلية الالكترونية المختارة، والكتب لعرض حصيلة معارف ومؤلفات بعينها، ورسائل الماجستير والدكتوراه للحصول على درجات علمية تؤهل أصحابها للتمتع بالقبول اللازم من قبل الأوساط العلمية والمعرفية المتخصصة.

وقد يفيد في التمييز بين الوسائل المعرفية، وبين الأدوات المعرفية، أن نشير إلى أن (الوسائل) عادة ما تمثل الأعمال المعرفية التي يستعين بها الباحث المعرفي للوصول إلى هدف ما يتمثل غالباً في الحصول على قبول علما أو معرفي متخصص من قبل المحكمين المتخصصين أو القراء الساعين إلى الانتفاع بما يقدم لهم من تلك الجرعات المعرفية (فأصل تلك الكلمة هي «التوسل» والتي تعنى اتخاذ الوسيلة، التي تعنى

بدورها فعل ذلك كنوع من التقرب للجهة المستهدفة، كالتوسل إلى الله بمعنى التقرب إليه بعمل يمكن أن يرضى الله عنه). أما «الأدوات» فهي الشكل النهائي الذي تتم به ومن خلاله عملية تحقيق الهدف وهو هنا الاستحواذ على رضا وإقرار ذوى الشأن بما يقدم من عمل متكامل.

وقبل الانتقال إلى المحطة الإرشادية الأخيرة على طريق المنهج الفكري والبحثي والعلمي ذي التأصيل الإسلامي، نفضل أولاً أن نلملم ما سبق تناوله من نقاط رئيسية لضمان المتابعة الصحيحة لمحتويات الكتاب بتسلسله المنطقي ..

ففي الفصل الأول تم استعراض بعض الأنماط الفكرية السائدة وتم ترجيحها بالمنظور الإسلامي مع تقديم صورة تطبيقية مبسطة توضح لنا الأنماط الفكرية التي كان قدامى أئمتنا المسلمون يتسمون بها، خاصة أبو حنيفة والإمام مالك والشافعي وابن حنبل وابن حزم.

وفى الفصل الثاني، تم الانتقال إلى تقديم مجموعة نظرية من الإرشادات والتوجيهات حول أطر المنهجية البحثية المعرفية للعلوم ذات التأصيل الإسلامي وحول المصادر التقليدية وغير التقليدية التي يمكن الاستعانة بها لاكتساب أفضل المعارف وأكثرها فائدة في توليد الأفكار الفاعلة.

وها نحن على مشارف الفصل الثالث فلنذهب معاً لنتعرف على خباياه.